يحيى حقى

عاشق الفن

تاريخ التسجيل ١٩٨٣/٢/١٧

★ **حقيقـة :**

لا يوجد شعب يستغنى عن الأغنيات التافهة أبداً !

★ **اقتـــراح :**

تغيير الثوب بدلاً من ترقيعــه !

★ **رأى :**

مفتاح غلق الراديو .. هو أعظم إنجاز وأروع اختراع !

★ **قـل ولا تقـل :**

وحدة الثقافة لا وحدة التاريخ .

ضيفنا فى هذه الحلقة نهر يتدفق حكمة وعطاءً ، مقل فى عدد الصفحات مكثر فيما يخرج به من لآلىء من أعماق هذه الصفحات . . معنا فى هذه الساعة بتجربته الطويلة العريضة التى رصد خلالها هذا العصر من بداياته الأولى حتى الآن . .

●●● عاشق الفن :

● الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى ماذا لو كتب تقديماً لنفسه أو قال لنا الآن ما هو التقديم الأمثل الذى يراه فى مثل هذا البرنامج ؟

ـ أسمح لنفسى أن أمدح نفسى الآن وأقول : « رجل يعشق الفن ، ويحاول أن ينقل شعوره بهذا الفن إلى غيره بصدق وأمانة » .

●●● بين الأصالة والمعاصرة :

● من هذا المنطلق ، عشق الفن ، وطبعاً الإذاعة أو هذا البرنامج الذى نتصور أنه متفرع عن أحد الفنون وهو أحد الألوان الفنية ، اليوم نطلب شهادتك على هذا العصر الذى نعيشه ؟

ـ إن القضية التى تشغل جميع الناس حالياً ، المفكرين والمثقفين هى قضية الأصالة والحداثة ، وهذه القضية لا تمتد فقط إلى الفكر والأدب والفنون بل تدخل فى مجال الاقتصاد ، فنحن الآن أمام فكرتين :

الاقتصاد القائم على فكرة الشريعة الإسلامية والتى تنهى عن الفائدة وتحض على الزكاة . . والاقتصاد القائم على الأساليب التى استقدمناها من الغرب سواء من الحد الاشتراكى أو الحد الرأسمالى الحر ، فهذه هى قضية اليوم ، الصدام بين الأصالة والمعاصرة أو التناقض بين الشرق والغرب أو بين الحضارة الحديثة وتراثنا وهذه القضية قد بدأت تنمو حين التقى الشرق والغرب ونحن قد التقينا فى الماضى مرتين :

مرة فى عهد العباسيين وأثبتنا أنفسنا وتقدمنا علمياً على أوروبا . . ثم التقينا أيام الصليبيين أيضاً عندما أرسل صلاح الدين طبيبه إلى «ريتشارد قلب الأسد» وأثبتنا أيضاً أفضليتنا عليهم . . ثم جاءت النهضة فى أوروبا وقضت على تقدم الشرق ، وهذه نقطة مهمة تستحق من جميع المؤرخين أن يبحثوها جيداً : « أين وقف تقدم الشرق ولماذا ؟ » .

حدث بعد ذلك لقاء خطير جداً بالنسبة لمصر وبالنسبة للعالم العربى كله وهى الحملة الفرنسية ، وجدنا صداماً بين العلماء الأجانب الذين أحضرهم نابليون معه وبين المصريين ، كان هؤلاء العلماء مهتمين بالكيمياء والآثار ورسمها ودراستها ، وكذلك بالعلوم الطبيعية وغير ذلك ، وحدثت ثغرة . ثم جاء بعد ذلك ، عصر محمد على ، واستعان

محمد على بالفرنسيين الذين تركتهم الحملة فى مصر ، استعان بهم فى الجيش ، فتجد جنرال سيف الذى ساعده فى بناء الجيش وغيره ، واستعان بهم فى الطب وفى إنشاء المدارس الحديثة . . ونرى أن محمد على فجأة وبضغط الفرنسيين قال للأزهر « قف عند هذا الحد وأنا سأفتح مدارس حديثة » . . وأنا أعتبر أن هذا اليوم ـ يوم تم الانفصال ما بين محمد على والأزهر ـ يوما من أسوأ وأسود الأيام فى تاريخ مصر الحديث ، لأنه شق الأمة المصرية شقين ، ففى هذه الفترة تقرر مصيرى أنا الآن ، تقرر أن أحدثك وأنا أرتدى بدلة . . وكان من الممكن أن أحدثك الآن وأنا أرتدى عمامة وقفطان ، فالأزهر فى ذلك الوقت كان يمثل جامعة من أعرق جامعات العالم ، يجوز أن يكون بواب الأزهر أعمى ، أى أن أى يد تطرق بابه يفتح الباب فوراً ولا ينظر إلى لونه ولا جنسه ولا عمره ويقول له سؤالاً واحداً وهو :

« هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ » . . فإذا قال نعم سمح له بالدخول .

● **هل هذا هو جواز المرور ؟**

ـ نعم ، أنت ستسكن ، سنعطيك خبزاً وأنت الذى ستختار معلمك ومواد الامتحان كذلك ، فقد كان الأزهر يتمتع باستقلال تام بفضل المسلمين الذين تركوا فى أوقافهم خيرات . وكان الأزهر حرماً غير مسموح للبوليس بدخوله ، كان الشعب يحتضن الأزهر وكان يستمد طلبته من أعماق الصعيد من جميع نواحى القاهرة ، وكانت هناك مشاعر

قوية تجاه علماء الأزهر . . وحماس وحرص على استمرارية الأزهر . . وكانت هناك وحدة عاطفية بين الأمة وبين مؤسسات التعليم . وعندما حدث الانشقاق ، انشقت مصر شقين ؛ حى أفرنجى وحى عربى وهو ما حدث فى كل بلد دخلها الأجانب ، حتى « حى مصر الجديدة » تجد حى السرايات للأجانب وحيًّا للعرب فى مكان آخر بجانب جامع . . وشتان الفارق بين هذا وذلك ، وكذلك الحال فى بورسعيد . . لقد حدث انشقاق غريب جداً حتى قامت ثورة سنة ١٩١٩ وحدث فيها التحام قوى بين جميع طبقات الشعب .

● **إذن الفجوة التى حدثت رئبت سنة ١٩١٩ ؟**

ـ نعم ، أو على الأقل فى بداية المطالبة بالاستقلال فى ظل الحماية الإنجليزية أو الاحتلال الإنجليزى ، وأنا لا أنسى جهاد مصطفى كامل فى فتح المدارس ، والمطالبة بفتح الجامعة المصرية الأهلية ، ففى ثورة سنة ١٩١٩ بدأ نوع من الانبعاث مرة أخرى، فالثورة قامت فى الأزهر وكان كثير من رجال الأزهر قد دخلوا فى السياسة ، سعد زغلول نفسه كان أزهرياً . . فكان هناك نوع من الالتحام بين هاتين الفئتين، وكنا نأمل فى أن نحقق نوعاً من الارتقاء لكن لم يحدث . . والسؤال ما الحل ؟

ـ الحل الذى اهتدينا إليه بعد أخذ ورد ، هو استيراد المنهج وطريقة التفكير على أن تكون طريقة التنفيذ والخطط اللازمة لتنفيذ هذا المنهج نابعة من أصلنا ، وخاصة ونحن نملك تراثاً كبيراً جداً يمكن الرجوع إليه

ودراسته وإحيائه . . فالمسألة تتطلب جهداً مزدوجاً من أبنائنا كلهم .

● **لى تعقيب بسيط على فكرة استيراد المنهج وهو هل نحن فعلاً محتاجون إلى استيراد منهج ؟**

ـ هى الفكرة إيه ؟ . . ما هو المنهج ؟ عندما يكون أمامك مشكلة علمية أو أى بحث، ما هى وسائل البحث العلمى مثلاً . . وسائلها . . ظروفها . . منشؤها، وتعمل دراسات ميدانية، وتجمع كل المراجع عليها، وتضع الخطة . . لا علاقة لك بهذه المسألة فى حد ذاتها وعلاقاتها بالمسائل الأخرى . . هذه هى طريقة حل هذه المشكلة : طريقة المنهج !

●●● لا للتباكى :

● **بعدما ألقينا نظرة على هذا العصر والتصدعات التى حدثت فى المئتى سنة الأخيرة حتى وصلنا إلى العصر الحالى أو اللحظة الحاضرة . . أسأل كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى عن مقومات هذا العصر الذى نعيشه الآن . . وعن موقع الإيمان والفن والحب من حياتنا المعاصرة ؟**

ـ أنا لا أريد أن أبالغ بأن أخضع كل هذا للظروف الاقتصادية وأقول إن زحام السكان أضعف العِشرة ما بين الناس ، وزحام المواصلات قطع الصلات بين الناس، لأنى أعتقد أن الإنسان شعاع من الله وأن الفضائل كامنة فيه . . وأنه سيبقى دائماً قادراً على أن يحب ويتمنى أن يحب وهذه حقيقة لا جدال فيها فى أى زمان وأى مكان ، ثم أنا لا أحب الظاهرة الجديدة المتمثلة فى حلقات اللطم على الخدود ! فكلما أجلس فى

مجلس أجد التباكى واللطم على الخدود حزناً على الحالة التى وصلنا إليها، وهذا يشعرنى بإعياء شديد ، وأشعر أننى حتى ولو كنت قادراً على عمل أى شىء سيذهب سدى ، ولذلك أتمنى من كل شخص يحضر مثل هذه المجالس أن يصمت أولاً ، وأن يصمم فى داخله على ألا ينهزم أمام هذا السيل من الشكوى والنواح ومثل هذه الأشياء ، « واللى يقدّره ربنا على عمل خير يعمله » . .

● **وخاصة أننا نملك مقومات الأمل وليس مجرد حلم طوبوى عند المصريين ؟**

ـ يكفى أننا الآن نحصى عدد الذين تعلموا عندنا فى السنوات الأخيرة بالآلاف وكلهم موجودون فى البلاد العربية ، وهم هناك يؤدون أعمالاً أفضل كثيراً مما يفعلونه هنا .

●●● إعجـاب وتقـدير :

● **الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى هل ترى أى تغير فى الشخصية المصرية والتى بدأت حضرتك هذه الحلقة بالحديث عنها ؟**

ـ أنا معجب جداً بالشخصية المصرية خصوصاً بالصعيد الذى عشت فيه عامين ، لأنى وجدت أن الإنسان المصرى فى الصعيد مثال فذ ، فالصعيدى يعيش وعنده إحساس كونى بالكون وسأضرب لك مثلاً :

أنا كنت فى عيادة طبيب فى مستشفى ، وجاء صعيدى ليكشف

عليه، دخل من باب المستشفى ولف فى ممر على اليمين واليسار والطبيب لففه حول نفسه ثم قال له أرقد فى حجرة مظلمة ، ثم سأله : « أى جنب يؤلمك ؟ » فقال له : « جنبى البحرى » . . فتصور هذا الفلاح الذى يجلس فى هذه الحجرة كيف أن إحساسه بالجهات الأربع يبلغ هذا الحد ! يعنى أنا متأكد أنك لو قذفت به من البراشوت سيقول لك : «جبل علىّ! » فهذا الإحساس يعنى أن المصرى لديه قوة غريبة جداً ، خصوصاً فى الصعيد الذى هو صلب الشعب المصرى ، والهرم الأكبر عندنا أضلعه الأربع فى مقابل الجهات الأربعة ، فهذا الفلاح الذى رأيته هو هذا الهرم وهو بانى هذا الهرم بهذه النسب الهندسية الدقيقة .

● **أى أن إحساسه بجغرافية الكون موجودة ؟**

ـ نعم وكلمة بحرى نسبة إلى البحر ، كذلك فإن لدينا النهر العظيم والذى تستطيع أن تركب فيه من منبعه إلى مصبه المركب . . لأن التيار يدفعك وفى العودة تدفعك الرياح ، ففى مصر خصائص غريبة جداً يحسن أن يصل إليها الفنانون والكتاب ، خصوصاً كتاب القصة لأن الصعيد ـ حتى الآن ـ لم يدرس دراسة كافية فى القصص ؛ لأن الظروف الاقتصادية الحاضرة قللت من أهمية الصعيد عندنا ، لكن يكفى فى مدحى للصعيد أن أقول لك إن الصعيد هو الذى قدم لنا الفنون ، الأغانى الفولكلورية مثل « يا وابور الساعة ١٢ » ، « محمد ولدى » و «يا بهية خبرينى عن اللى جتل ياسين » . . وأنت لا تجد مثل هذه الأغنيات فى الدلتا . . أيضاً أثناء عملى فى الصعيد كانت هناك فتاة

اسمها «ناعسة» فى قرية اسمها « مزاتة » ووجدت الصعيد كله يتغنى بها وكان هذا بمثابة نموذج أسطورى لفتاة مثل « تاييس » فى العصر الهلينى، فى مصر كانت هناك « ناعسة » ، مثل هذه الأمثلة لا تجدها فى الدلتا . . .

●●● الأغنية المصرية :

● وما رأيك فى الأغنية المصرية المعاصرة كعمل متكامل ؟

ـ أتكلم عن ماذا ؟ أتكلم عن التلحين . . أعتقد ان أهم وأنفع اختراع ربنا خلقه هو مفتاح غلق الراديو ، هذا أبرك اختراع للعلم . . .

● هذه إهانة رهيبة جداً ! !

ـ الحقيقة ، أنا أنزعج انزعاجاً شديداً جداً ، بأمرض . . والله من الشعور بالرتابة والملل الشديد من التلحين أو « سلق البيض » الذى يحدث هذه الأيام . . الأعمال الفنية لا تخرج هكذا ، كلهم يفعلون نفس الشىء ومنير مراد ـ رحمة الله عليه ـ قال :

« نحن جميعاً نعمل عملاً واحداً مثلنا مثل الذى يكوى قميصاً ، أحدهم يكويه من اليمين إلى الشمال والآخر يكويه من الشمال إلى اليمين » ، إذن ليس هناك مجهود يبذل فتجد شخصاً يقول :

« أخذت النص من الإذاعة وعندما عدت إلى المنزل اتصلت بهم تليفونياً وأمليت لهم اللحن » .

كيف يحدث ذلك ، لا أعلم ، هل المسألة لهو ؟

● **أستاذ يحيى حقى أنا أعتقد أن شباب هذا الجيل ليس مختلفاً كثيراً فى ذوقه عن الأستاذ يحيى حقى بدليل انصرافهم إلى الألوان الأخرى ؟**

ـ حقيقة كان المفروض أن نبنى على أساس سليم ، عندنا التواشيح والبشارف ، التواشيح كغناء والبشارف كموسيقى صامتة وكان يجب أن تكون التواشيح والبشارف هما الخطوتان اللتان نمشى بعدهما ونحاول أن نطور . وطبعاً أنا لا أحب الذى يقول لك « ما هذه الأغانى البذيئة والتافهة ؟ » . . فى كل شعوب العالم هناك أغانى الشوارع والكباريهات وهى ما يطلق عليها فى الدول الأوروبية Silly Songs أى الأغانى التافهة ، ولا يوجد شعب يستغنى عن الأغانى التافهة أبداً ، فلا يصح أن ننزعج من الأغانى التافهة ، وأنا أرى أننا تحدثنا كثيراً فى هذا الموضوع وأنا أرى أن نترك هذا الموضوع وألا نشغل بالنا بهذا الموضوع وهذه القضية، وأرى أن نترك هذه الظاهرة إلى أن تختفى ، على أية حال أنا أعتقد أن هناك ـ إلى جانب هذه الأغنيات ـ دراسات ومحاولات جادة لوضع أغانٍ جيدة .

●●● عودة إلى قضية العصر :

● **والآن نعود إلى قضية العصر . . .**

ـ نعم ، ما هو الوصف الحقيقى للمحاولات التى نبذلها فى اللقاء بين حضارتى الشرق والغرب ؟ يعنى مثلاً فى شبابنا كانت هناك حملات

ضدنا ، كان الإسلام فيه رق . . وتجد شفيق باشا وقد كتب بحثاً للرد على ذلك مؤكداً انه لم يكن فى الإسلام رق . . وتجد حملة أخرى ضد تعدد زوجات وتجد أيضاً من يرد على هذه الحملة شارحاً حكمة الإسلام فى تعدد الزوجات . . أو على من يزعمون أن الإسلام فيه تواكل فتجد محمد عبده وقد وجه « رسالة التوحيد » للرد على هذا الزعم .

كان الهجوم فرعياً وكانت الردود فرعية ، وكان المفروض ألا نرد فى فرعيات بل كان يجب أن نقنن من أوروبا تصوراً شاملاً لمعنى حياة أمة إسلامية تريد أن تطبق شريعتها وكيف يكون ذلك ؟ إن ما تفعله الآن أشبه ما يكون بترقيع الثوب والمفروض أن نخلع الثوب كله لتلبس ثوباً ثانياً نتخذه من أصالتنا ومن حضارتنا .

●●● خير الأمور الوسط :

● **إذن أنت تطالب بتصور شمولى ورد شمولى ؟**

ـ تصور شمولى مع الاعتراف بأنه **قد يكون من المستحيل التطبيق فوراً** لأن الآن الحياة متشابكة . . رؤوس الأموال متشابكة ، التبادل التجارى متشابك ، الاتصالات متشابكة ونحن لا نستطيع أن نفصل مرة واحدة بين هذا وذاك ، ولكن لا بد من التدرج وأن نكسب كل يوم أرضاً جديدة ، على أن يكون فى ذهننا فى نهاية الأمر صورة الأمة أو الدولة التى تطبق تراثها ، وتكون قادرة على مسايرة العصر الحديث ، وهذا يقتضى أيضاً من النواحى السياسية أن يحدث اتحاد بين الدول العربية ثم بين

الدول الإسلامية ، حتى يسهل علينا عندما نضع مجالاً خاصاً بنا أن نجد مجالاً لتطبيقه بدون التعرض لأى أذى ، أى أن يكون هناك أرض للمناورة متسعة الرقعة .

● **ونصبح بذلك مثلنا مثل الأمة الإسلامية فى عنفوانها ؟**

ـ نعم ، ولحسن الحظ نحن أمامنا تجربتين يجب أن ندرسهما بعمق ؛ تجربة مصطفى كمال فى تركيا عندما قرر أن تتحول تركيا فوراً من دولة دينية إلى دولة علمانية . . والتجربة الثانية تجربة إيران . . مصطفى كمال ذهب إلى منتهى التطرف فى اتجاه ، وإيران فعلت نفس الشىء فى الاتجاه المضاد . وأعود وأقول إن من حسن الحظ أن مصر أمة وسط وأنها على مدى التاريخ كرهت العنف وكرهت التطرف ، وأمسكت بكل النظريات ووصلت بها إلى حد الوسط ، فمصر ذات موقع جغرافى وسط وطبيعة وسط ومزاج وسط أيضاً ، ونحن عندنا استعداد كبير أن نشق طريقنا بدون أن نتطرف إلى اليمين أو اليسار .

●●● لغة القرآن لغة بسيطة :

● **أستاذ يحيى حقى أنت عندما كتبت قصة « قنديل أم هاشم » كانت شهادة على عصرك ، فما شهادتك على هذه القضايا ، قضية التغريب وقضية الحيرة بين الشرق والغرب ، قضية التحديث والأصالة ، وهذه القضايا كلها مطروحة فى هذا العصر ؟**

ـ نحن محتاجون إلى ما يسمى بوضوح الرؤية أى أن نرى رؤية

صحيحة وبدون أى مبالغة ، يعنى مثلاً هل هناك أى شك فى أن الدين الإسلامى والقرآن يحث الإنسان على استخدام عقله ، هذا الكتاب يأمرك سح فى الأرض امش وانظر واستعبر وافتح عينك .

● **« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » !**

ـ وأعود لأتحدث عن ظاهرة غريبة جداً من حيث اللغة ، تجربتى مع القرآن بدأت فى المرحلة الابتدائية عندما كنت أنشد قصار السور مع طلبة الفصل بنغم رقيق جداً كان يهز شعورنا ووجداننا ، وعندما كبرنا بعض الشىء قل هذا الإحساس وبدأنا نتلقى هجوماً على القرآن من الأجانب ومن بعض المصريين ، وكان هذا الهجوم موجهاً لصعوبة لغة القرآن ، ثم فى أواخر عمرى انتبهت لظاهرة غريبة جداً ، فأنت إذا استثنيت بعض كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة ، تشعر أن القرآن مكتوب الآن ، فلغة القرآن لغة بسيطة جداً إذا قورنت بالشعر الجاهلى ، فالشعر الجاهلى أصعب مائة مرة ، لكن القرآن شىء مذهل ، فكيف تستطيع لغة أن تعطيك هذا الإحساس بأنها كتبت منذ أربعة عشر قرناً وكأنها كتبت الآن؟!

● **الحقيقة هذا رأى جديد تماماً ويحتاج بعض التفصيل والتوضيح من كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى حول القرآن وقراءته فى هذا العصر ؟**

ـ أريد أن أروى لك علاقتى بالقرآن الكريم ، طبعاً وأنا صغير كانت قراءة القرآن لا تنقطع فى بيتنا ، لكن لقائى العاطفى الشديد جداً بالقرآن

بدأ وأنا تلميذ فى السنة الأولى من المرحلة الابتدائية عندما كان الفصل كله ـ وكان الفصل اثنين وخمسين تلميذاً ـ بصوت واحد يقرأ آيات جزء عم القصيرة ، وهذه الآيات كان لها شاعرية غريبة جداً فى قلوبنا خصوصاً وأن هذه الآيات كانت تتحدث عن آيات تمس قلوبنا مثل العناية باليتيم ، فهذه النغمات جعلت القرآن يسرى إلى قلوبنا وآذاننا وأعصابنا كنغمة أكثر منها معنى ـ يجب أن نعترف بذلك ـ بعد ذلك حين كبرنا وتحولنا من ا لسماع إلى القراءة ، وجدنا شيئاً من الصعوبة فى الفهم ، ثم اختفت العلاقة لاختفاء تعليم القرآن فى المدارس بعد السنة الثانية أو الثالثة من المرحلة الابتدائية ، بعد ذلك أصبحنا ـ عندما كبرنا وتعلمنا فى أوروبا ـ ضحية لأقوال متعددة تقول إن اللغة العربية لغة مهجورة ولغة قديمة ولغة معقدة ولغة صعبة وأن القرآن يحوى كلمات لا يفهمها أحد ويختلف المفسرون فى تفسيرها .

● **وما يقال عن اللغة العربية من أنها لغة شفوية ومثل هذا الكلام للمستشرقين ؟**

ـ المستشرقون ؟! يا سيدى فى هذا السن الذى بلغته أقرأ القرآن وكأننى أكتشفه لأول مرة ! والله إنك فيما عدا كلمات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة يخيل إليك أن القرآن مكتوب بلغة معاصرة وأكاد أن أقول إنه مكتوب بلغة الصحف ، أى أنه كلام سهل جداً يستطيع أى طفل عمره تسع سنوات أو عشر سنوات أن يقرأه بمفرده . فالإنسان يتحول من هذا الشعور إلى شعورٍ آخر ، ما هذه اللغة التى استطاعت عبر أربعة عشر

قرناً أن تظل محتفظة بشخصيتها وقدرتها على الإبانة والتعبير بأيسر الطرق وأسهلها ، فماذا يقول لنا المستشرقون ؟!

هذا كنز وعبء فى آن واحد ، لأنه ليس من المعقول أن تتحجر اللغة . .

أنتم تزعمون أن اللغة لم تتطور منذ أربعة عشر قرناً إلى الآن ، ولكن نحن الحقيقة نشعر أن هذا هو الكنز وليس العبء ، لأن ما هى قيمة اللغة؟ . . اللغة هى استمرار واتصال وانتقال من جيل إلى جيل ، فهل هناك لغة أخرى جعلت كل جيل يسلم المشعل إلى الجيل الذى يليه ، غير القرآن ؟ لا يوجد ، وهذا هو سر القوة . . !

● **واللغات الأخرى عمرها بضع مئات السنين فقط ؟**

ـ نعم ، وأنا دائماً ما أقارن حال شبابنا بحال شباب مثقف انجليزى يعود إلى بيته ويتجه إلى مكتبته ، يمد يده ليأخذ كتاباً يقرأه فلا يجد كتاباً عمره أكثر من ثلاثمائة سنة أو أربعمائة سنة . . لكن أنا أجد ديوان امرؤ القيس والذى قد يجد من يقرأه على مدى أربعة عشر قرناً وأكثر ، ولذلك فإن العبء على المثقف العربى أكبر منه على نظيره الإنجليزى ، فالإنجليزى يتعلم اللغة الجارية فقط ، لكن الشاب العربى كى يشعر بانتمائه لا بد وأن يوثق صلته بكل التراث ، ستقول لى هذا صعب ، نعم وهل فى الدنيا شىء سهل ، هل هناك لغة بلا قواعد صعبة ؟!

على أية حال الأمة العربية والإسلامية مرت بمواقف انحدار وانهيار

كثيرة وأصبحنا نرى اللغة زخارف وكلمات ومترادفات ، وهذا راجع إلى المجتمع نفسه ، ففى ضعف المجتمع ضعف اللغة ، فاللغة هى نتاج المجتمع .

●●● سماحة لغتنا الجميلة :

● ولكن الآن يا أستاذ يحيى ، اللغة ، ككائن حى يعيش بيننا ونعيش به فى هذا العصر ، إلى أين وصلت ؟

ـ أنا شخصياً مررت بتجربة غريبة جداً ـ وللعلم : جميع أفكارى ، آرائى فى الفن أو القصة لا أستقيها من الكتب وإنما أستقيها من معاناة شخصية ـ وهى أن كان عندنا مجلة الـ Readers' digest وهى مجلة أمريكية مكتوبة بأسلوب أمريكى ، وتقرر إصدار نسخة عربية من هذه المجلة وأسموها « المختار » وأوكلوا رئاسة تحريرها إلى فؤاد صروف وسكرتارية التحرير إلى محمود شاكر ، وعملت أنا فيها بالترجمة ، وتعاهدنا على أن نلتزم منتهى الأمانة فى نقل النص الأمريكى الحديث للقرن العشرين إلى اللغة التى يقال عنها إنها تجمدت وتحجرت وأصبحت لا تتماشى مع هذا العصر ، وأؤكد لك أن أى شاب يدرس اللغة العربية، لو رجع إلى هذه الأعداد التى صدرت من مجلة « المختار » لدهش إذ كيف أمكن لأسرة التحرير ـ وبفضل الأستاذ محمود شاكر الذى كان يراجع كل مقالة ـ أن ننقل الأفكار والتعابير وكل ما هو فى عالم الماديات والمعنويات من مجتمع أمريكى فى القرن العشرين إلى لغتنا العربية . . إذن فالمسألة مسألة وجود ، مسألة عمل . .

وأنا أستمع كذلك إلى محطة القرآن الكريم ويعجبنى جداً برنامج «علم التجويد » ، إننى والله أنتشى عندما أجد وصف كل حرف من حروف اللغة وطريقة نطقه وتنوينه وتنغيمه ، يعنى لم يحدث فى أى لغة أن درس كتاب من جميع جهاته كالقرآن .

كذلك أنا متتبع لأسئلة القراء فى المسائل الدينية ولكنى أجد جميع الردود تتحول من السلوك إلى النصوص والطقوس والتفسيرات ، نحن نريد الأحكام ونمط السلوك .

● **باعتبار أن العمل عبادة والدين سلوك إلى جانب أنه منهج حياة ؟**

ـ كنت أحلم دائماً وأسأل نفسى عن النمط الإسلامى ، يقال النمط الانجليزى ، النمط الساكسونى ، أو النمط الألمانى والنمط الإيطالى ، فأنت ترى رجلاً فى الشارع فتقول هذا انجليزى أو إيطالى أو ما إلى هذا ، لكن ما هو النمط الإسلامى ؟

أنا أحاول كثيراً أو من حسن الحدس أننى أستطيع أحياناً أن أتبين شخصاً أو اثنين وأقول هذا هو النمط الإسلامى الذى أنشده . .

● **مـا هـو ؟**

ـ يعنى عندما ترى فى وجهه الصراحة والاستقامة والجدية ، وتشعر أنك تستطيع الاعتماد عليه وأنه رجل شريف نبيل . .

●●● الأصالة والمعاصرة وحياتنا :

● **وأنت وقد رصدت ظاهرة عامة وهى الغرب والشرق ، الأصالة**

والمعاصرة ، فهل ترجمت هذه الظاهرة إلى ظواهر فى الشارع والبيت المصرى وفى المجتمع المعاصر ؟

ـ الآن ماذا ترى العين فى الشارع أول ما ترى ؟ سترى مثلاً عمارة وهذا يعطيك مثالاً لـ كيف اغتالت العمارة الغربية عمارتنا الأصيلة ، وإن كان ـ مع الأسف ـ بعض الأجانب هم الذين نصحونا بالاستمساك ببعض الأمثلة من عمارتنا الصميمة ، مثلاً حى مصر الجديدة ، عندما تلاحظ العمارات الأولى التى بنيت تجد أنها بنيت على التراث الأندلسى . . البواكى . . لأننا بلد حار ونحن محتاجون لنظام البواكى مثل شارع محمد على وإن كان الخديوى إسماعيل كان يقصد من شارع محمد على تقليد شارع ريفولى فى باريس ، أما الذى بنى مصر الجديدة فكان يقصد طابعاً محلياً لتتميز به الدول الإسلامية . وأنا أدعو معمارييننا أن يدرسوا العمارة العربية ولو أن طغيان الحضارة الحديثة لا يسمح بالوقوف أمام هذا الغول وهذه المشكلة ، ومع ذلك هناك بعض الدول الإسلامية مثل تونس ومراكش استطاعوا الاحتفاظ ببعض الطوابع المعمارية العربية . أما نحن فقد بذلت بعض المحاولات فى عهد كتشنر ولم تستمر ، ومرة أخرى أدعو لدراسة الطراز العربى ، مثلاً عند بناء المساكن الشعبية ، لماذا لا ننظر إلى نظام « الرَّبع » والرَّبع عبارة عن مبنى طولى فيه ممر مكشوف تفتح عليه كل الغرف ، إذن ليس من المهم أدوار عالية ، يعنى يجب أن ننظر إلى هذه الأشياء أو على الأقل ندرسها .

● **هذا طبعاً نراه فى كل المجالات ، فإذا كنت حضرتك قد تكلمت عن العمارة الآن وشكل الشارع ، أيضاً هل نجد مثل هذه الظاهرة فى مجال الأدب والفكر والفن ؟**

ـ نعم ، فنحن عندما نعود لبداية الحركة الفنية بعد سنة ١٩١٩ ، يجب أن نعترف أنه كان هناك شيء اسمه اقتباس ، حدث فى المسرح ، فتجد أغلب مسرحيات يوسف وهبى ونجيب الريحانى مقتبسة . . حتى المصورين الأوائل كانوا ينقلون نقل مسطرة من الفن الكلاسيكى فى أوروبا ، كذلك بعض كتّاب القصة القصيرة ، كما قيل إن عبد الوهاب اقتبس أيضاً بعض الحانة . . ثم بعد ذلك طلبنا الأصالة وأن يكون لنا أدب خاص بنا ، وتراجعت فكرة الاقتباس وأصبح عندنا أدب مصرى خاص محلى يعبر عنا أحسن تعبير ، وذلك بفضل كتاب عظام أمثال ؛ نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم .

●●● وحدة تاريخ أم وحدة ثقافة :

● **فى الحقيقة كثير من الشباب رفض الانتماء المصرى إلى الثقافات والحضارات ووقعوا فى هذه الحيرة كثيراً ، وأنت قد حدثتنا عن إنسان الصعيد وهذا الإحساس الكونى الذى يملكه ، فهل هذا يؤكد وحدة التاريخ المصرى منذ الفرعونية وحتى الآن ؟**

ـ نعم ، لكن يجب أن نزيل لبساً خطيراً ، وحدة التاريخ شيء والثقافة شيء آخر ، ويدعونا هذا إلى تساؤل هو : ماذا ترك لنا

الفراعنة؟ تركوا لنا الآثار من أحجار وقبور وبعض الرسوم وتماثيل لها قيمة فنية كبيرة جداً بلا جدال ، لكن منذ دخول الإسلام واللغة العربية فى مصر ماذا حدث ؟ حدث أننا نتكلم اللغة العربية ونفكر باللغة العربية ، إذن فإن اتصالنا الثقافى مرتبط باللغة العربية ، ولا أستطيع أن أقول إننى منفصل عن الثقافة العربية .

● **هذا هو الانتماء ؟**

ـ أنا منتم لمصر وتاريخها فى كل شىء ، إنتماء فى التفكير ، فى تدبر أمورى ، فى قدرتى على التعبير ، فى تذوق الجمال ، الكلام ، فى صياغة الكلام ، لا بد أن أكون وثيق الصلة بتراث اللغة العربية ، إذن لا بد من عمل موازنة بين تراثنا الحضارى وتراثنا اللغوى والجمع بين الاثنين ، لماذا نفصل ؟ وما هو التعارض من أن أقول إن جميع عادات الجنازات عندنا فرعونية وبين انتمائى إلى تراثى العربى ، وكيف أنفى أننى أقف مذهولاً أمام تماثيل ورسومات الفراعنة ، والتجريد فى التصوير ، وهذه المهابة وهذا الجلال فى التماثيل ، كل هذه الأشياء هى أيضاً من تراثى ، ولا بد أن أنتمى إليها وأن أحاول التعبير عنها لكن من حيث الثقافة فأنا أتحدث العربية وأفكر بالعربى لا بالهيروغليفى .

● **إذن عندما يمر الأستاذ يحيى حقى أمام تمثال نهضة مصر يجد فيه الاستمرارية للإنسان المصرى والحضارة المصرية التى صنعت الحضارة المصرية الفرعونية القديمة ؟**

ـ نعم بلا جدال ، أنا حتى أذهب إلى حد القول بأن العبقرية الفنية فى مصر هى النحت لا التصوير . . بدليل أن ما فعله الفراعنة أهم بكثير من الرسم فى نظرى بالرغم من أننا عندنا لوحات لا يتصورها عقل . . لكن النحت وجلال النحت هو الفن الأول عند قدماء المصريين وعندنا ، لماذا ؟ . . مختار جاء ولم يجد فرشة أو ورقة أو ألوان إنما وجد طين يستطيع أن يشكله بيده على الترعة .

● وهل هذا يعطى أيضاً مؤشراً على تواصل واستمرارية الحضارة فى مصر ، وأنا أذكر هنا أن أحد المؤرخين كان يقول : إنه عندما يلتقى بالفلاحين المصريين على شاطىء الترعة مثلاً كان يخيل إليه أنهم رسوم خرجت من على حوائط المعابد الفرعونية ؟!

ـ طبعاً ، خصوصاً فى الأجواء التى لم تختلط بالدماء الأجنبية كثيراً مثل الصعيد الجوانى ، وهذا الصعيد هو ما أعتبره أنا العمود الفقرى لمصر والرقبة الممتدة ، والرأس المرفوعة والصلابة الشديدة جداً فى الأخلاق وفى العمل وفى كل شىء .

● أستاذ يحيى حقى لغة الصحافة والمقصود بها الإيجاز والإقلال فى عدد الكلمات والأسلوب التلغرافى ولغة الإذاعة والمقصود بها اللغة التى تمسك بالأسماع ، تعبيران أو تعبيرات دخلت حياتنا فى العصر الحديث ودخولها يدل على ظاهرة ثقافية موجودة ، فعلى ماذا تدل وما هو تقييم حضرتك إلى ما وصلت إليه وما ترتب عليها من آثار ؟

ـ يكفى أن تقرأ فى الأهرام كادر كتب عليه « فى الأهرام منذ مائة سنة» وتقرأ كيف كانت تكتب اللغة العربية فى ذلك الوقت وتقارنها الآن بلغة الصحافة ، وأقول لمن يقولون لم تحدث نهضة فى مصر ، إن «الأهـرام» و«الأخبار » و « الجمهورية » كل هذه الجرائد تعطيك أخبار العالم كله سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وذلك بلغة سهلة مفهومة وفصيحة خالية من أى ركاكة أو تعقيد ، فذلك فى حد ذاته نهضة كبرى . . كذلك نجد أن جميع فروع العلم الحديث وقد ترجمت مصطلحاتها إلى اللغة العربية ، والغريب أن الفنون والآداب والنقد هى التى لم تترجم بعد كل مصطلحاتها ، لكن يجب أن يشعر أصحاب الصحف بمدى المسئولية التى تقع على عاتقهم ، وأنا أطالب بإدخال الشكْل على بعض الكلمات فى صحفنا خصوصاً الفعل المبنى للمجهول يعنى أنا لا أطالب بتشكيل كل حرف ولا كل كلمة فأنا أعتقد أن الصحف عليها واجب قومى ، واجب وطنى .

● **بالنسبة للمجلات الثقافية القائمة حالياً ، فأنا لا أعرف رأى الأديب الكبير يحيى حقى فيها . . ومقارنتها بمجلات الأربعينيات أو الخمسينيات؟**

ـ المشكلة ما هى طبيعة المجلة ؟ فهى إما أن تكون مجلة صادرة للتبشير والدعاية لمذهب أدبى جديد ، فتجمع حولها آثار هذا المذهب وتدعو إليه وتفسره وتشرحه، ويصبح لها شخصية واضحة معروفة . . وإما أن تكون مجلة ثقافية عامة ، مائدة تعد لك مائة طبق وطبق ، فنحن

لا يوجد عندنا مجلة تدعو إلى مذهب جديد ، فلا يوجد مذهب جديد فكل المجلات مضطرة أن تكون مائدة عامة متنوعة الأصناف والأطباق ولذلك من الصعب أن تحدد ذوق القارىء .

● هنا لنا وقفة مع الأستاذ يحيى حقى ، فأنت تقول لا يوجد مذهب جديد مع أن هذا العصر يموج بعشرات المذاهب الجديدة التى أحياناً تكون متناقضة ؟

ـ أدبية أم سياسية ؟

● كلـه !

ـ قل لى أين المذهب الأدبى غير الشعر الحر أو الكلاسيكى ، هل عندك ناقد الآن أوجد لنا فى كتابة الرواية أو القصة مذهباً جديداً ؟ . . ألسنا نستورد جميع تعبيرات النقد الحديث من أوروبا ، عندما نقول «الشيئية» و « العينية » ومثل هذه الأشياء أليست منقولة ؟ ثم للأسف الشديد أن الذى أرهق مجلاتنا الثقافية هو الانقسام العقائدى « » بين اليمين واليسار . . وهذه نكبة كبرى أنا صادفتها عندما كنت رئيساً لمجلة « المجلة » وتسمح لى أن أروى لك حادثة توضح لك الصعوبة التى واجهتها ؛ خرج كثير من الشباب من السجن وجاءوا إلى ورأيت أنهم فى حاجة إلى المساعدة ، فقلت لهم أنا لا أنظر إلى ألوانكم ، إنما اكتبوا لى موضوعياً مقالات ذات قيمة وسأنشرها ، وأنا لا شأن لى بلونكم السياسى ، وكلفت أحدهم وكان متخصصاً فى علم النفس بكتابة مقال

فى علم النفس ، فقدم لى مقالاً لبابلوف رئيس النهضة فى علم النفس .

● **اختار عالما روسيا أيضاً ؟**

ـ نعم وهذا التعنت من الأيدلوجيات هو الذى أفسد المجلات الأدبية .

● **المدهش يا أستاذ يحيى أن الناس فاهمين أنهم لا بد أن يكونوا إما يمين أو يسار . . فهذه ظاهرة فى حد ذاتها ؟**

ـ ولذلك هنا يأتى الكلام عن قيمة الفن فى المجتمع يعنى يجب أن نقفز فوق هذه الفوارق لنصل إلى مرتبة عليا اسمها الفن ، نريد من الجميع أن يتذوقوا الجمال ويتذوقوا الفن ، ثم ينقسمون بعد ذلك ، فجميع المبالغات تتولد من شخص لم ينضج ولا يمكن أن ينضج إنسان إلا على نار الفن .

● **إذن فالتمسك بالتقسيمات والاقتراحات أحياناً ما يغرقنا فى تفريعات كثيرة ؟**

ـ طبعاً وأعود للحديث عن القرآن وإن كنا أحياناً نتناوله تناولاً فيه نوع من العبث ، عبث طفولى ، وأنا أرى أننا لا بد من مقاومة هذا العبث حتى ولو كان الذى يقوم به أحد كبار الرؤوس ، وأنا أذكر أننى عندما كنت مديراً لمكتب خشبة باشا ، جاءتنا هدية عبارة عن القرآن الكريم مكتوباً فى صفحة واحدة ، وقال لى خشبة باشا رد على هذه الهدية فكتبت رسالة شكر وعرضتها عليه فقال : « إنك رجل أحمق لأن هذا

الرجل الذى أنفق وقته فى هذا العبث يجب أن نزجره لا أن نشكره ، فكيف لى أن أزجره ؟ » .

فقلت فى ردى : « لو أنك بذلت جهداً فى جمع القرآن وتفسيره والإشادة به ما بذلته فى هذا الخط الدقيق لكان هذا أولى لك » .

● **نخلص من كلام الكاتب الكبير يحيى حقى أن رؤيتك للعصر ترصد ظاهرة هامة جداً وهى الانقسام إلى نظرة إلى الشرق وأخرى للغرب والأصالة والمعاصرة ؟**

ـ فعلاً ونرجو أن نجتاز هذه المرحلة سريعاً ، وكما قلت لك المسألة ليست مسألة ترقيع ثوب ، يجب أن نعيد النظر إلى الثوب ، فإذا كان لا يناسبنا فلنبدله بثوب آخر لائق مستمد من تراثنا وليكن هذا عندما تكون الظروف مناسبة .

● **وأنت تطالب باستيراد المنهجية وليس المنهج أو الوعاء مثلاً إنما يملأ تراثاً ودیناً ؟**

ـ أركز على ضرورة الاعتناء باللغة وإحيائها لأنها وعاء الفكر .

●●● شهادة على العصر :

● **بعد هذا الحوار الممتد ما هى شهادتك على هذا العصر فى سطر أو سطرين ؟**

ـ والله هذا عصر يصيب الإنسان بالدوار ، فلو قلت لك عدد

الحروب التى عاصرتها وعدد المخترعات الحديثة التى عاصرتها بعينى ، فالإنسان يلهث وكأنه يضرب بسوط ليتأمل ، وهو يحتاج لوقفة تأمل قوية جداً ، والبحث عن الأساسيات التى مهما تغيرت الأحوال تظل ثابتة كالأخلاق، والفضائل والشهامة ، والشجاعة والوقوف إلى جانب الحق ، والدفاع عن المبدأ ، والنبل والجرأة ، وفعل الخير ، هذه هى الركائز التى يجب أن تتشبث بها كما يتشبث الغريق بقشة فى بحر هذا الزحام ونترك الجرى واللهثان الذى من شأنه أن يصيبنا بالدوار إن لم نصب بالجنون !!